السطور المهجورة في عكد

تراث إنساني وثّقته الصخور التي استخدمت للسكن والرسم والكتابة

سند بن حمد بن محمد المحرزي | هلال بن عامر بن علي القاسمي

تُعد الرسومات الصخرية من أقدم التدوينات التاريخية التي خطّها الإنسان القديم وهو يقدّم لنا إفادة لمحات تاريخية واجتماعية عن حياته وما رآه في بيئته، ومن خلال الرسومات تتضح ملامح فترة زمنية معينة وما كان فيها من حيوانات أو طريقة عيش البشر فيها، ولأجل ذلك فهي مهمة جدا وتوثيقها هو الأهم، وتعتبر رسائل تركها لنا الإنسان القديم ليمرر لنا أفكاره وما يراه وطرق عيشه وأخباره، وتعتبر كذلك بداية تغريدات عبر الصخور والألواح الطينية تمثل مشاعره وأحاسيس.

إن الكثير من هذه الرسومات والنقوشات لم ينفض الغبار عنها وبات من المهم تتبُّعها وتوثيقها لتكون مرجعا لكل باحث في هذا المجال.

تقع منطقة «عكد» بنيابة سمد الشأن بولاية المضيبي، وهي قرية أثرية تقع في منطقة جبلية وعرة بعمق تكوين جبلي بركاني في فج عميق تحيط به الجبال الشامخة من كل الجهات، وتصبُّ في الفج عدة أودية تنحدر من القمم المدببة التي شكّلتها فوّهات البراكين منذ أزمنة قديمة تعود إلى ٩٠مليون عام.

ويمكن الوصول إليها عبر طريق وادي عندام وبعد منطقة الغريين تقع شمالا في فجوة جبلية، وطريقها وعر للغاية، ولكن الواصل إلى أعماقها يحتاج التفكر والتأمل في جمال تلك الطبيعة الصخرية الشبه جافة، بيد أن الأشجار التي نمت بين ضفتي الوديان والسيول مع تشكيلات صخرية وتراث ثقافي وفجاج جبيلة وقمم مدببة لا يحس فيها بالملل.

تتميز هذه المنطقة علاوة على التراث الطبيعي بتراث بشري وثقته الصخور التي استخدمت للسكن والرسم والكتابة، وأكثر ما يشد الانتباه الرسم الصخري والكتابة على الصخور المنتشرة فيها، ولم تخلُ من آثار الاستيطان الأخرى، إلا أن الرسم الصخري في مكان ناءٍ وبعيد هو بحد ذاته ملهم وجاذب.

Text.indd 64 07/07/2022 9:11 AM

كنظرة أولى للموقع يتضح جليّا وجود استيطان بشري متنوع الأنشطة ويعود أقدم أثر إلى الألف الثاني قبل الميلاد كتقدير سطحي، ويمتد النشاط البشري في المنطقة إلى مساحة واسعة وعلى امتداد عميق، وقد ابتدأ مجتمع عكد على ما يبدو على الرعي وصيد الحيوانات البرية وتطور في نهاية العصر الحديدي إلى مجتمع شبه زراعي وواصل تطوره حتى العصر الإسلامي.

يمكن تمييز عدد من المدافن التي تعود إلى ثلاثة أنماط واضحة، وقد اعتمد السكن على أبنية حجرية دائرية ومستطيلة مغطاة السقوف من جلود الحيوانات و النباتات الموجودة في الطبيعة مثل العسبق والسكر.

وبسبب المحيط الجبلي الوعر فقد نأت القرية عن الصراعات التي كانت تحدث في الجانب الآخر بين القرى والمدن والقبائل، ومن الوهلة الأولى يبدو مجتمع عكد منعزلًا وفقيرًا وهذا على النقيض للمجتمع الذي نشأ في عكد، فكل الآثار تشير إلى انفتاح وتبادل فكري بينه وبين باقي المستوطنات، وأبرز ذلك الكتابة أو الرسومات التي أخذت في مسار التطور حتى ظهرت الكتابة، إضافة إلى وجود بعض قطع الفخار وطقوس الدفن المنتشرة في كل مكان بعُمان بنفس النمط.

صنفنا الموقع بداية بأنه معزول تماماً إلا أن المفاجأة في الآثار التي دلت على أن هناك أمرًا جعل هذا المجتمع محبوبا أو مربوطا بتواصل مع باقي المناطق وهذا يثير الفضول لمعرفة السبب الذي أدى إلى ارتباط الناس به، رغم انعزاله ووعورة الطريق إليه!، وبما أن معدن النحاس كان من أهم المقاصد التي يبحث عنها الناس في تلك الفترات والواقع لا يوجد أي أثر في عكد لاستخراج النحاس أو صهره، إذاً لابد أن يكون هناك داع مهم جعل الناس يسكنون عكد لمدى طويل مع وجود اتصال مستمر بها، لم نعثر على دليل للسبب الذي ربط الناس بهذا المكان سوى تفسيرات قد استنتجت من خلال البيئة المحيطة وهي أن هذا المكان اعتمد على صيد الحيوانات البرية وخصوصا الوعول والنمور والمتاجرة بجلودها، فعند مدخل عكد يبرز نقش لنمر في صخرة واضحة، لذا نستطيع القول أن عكد اتخذت من هذا النقش شعارًا لها، وهذا يعطينا الاستنتاج بوجود مجتمع قصده التجار لشحن جلود الحيوانات وبعض المنتجات الطبيعية مثل زيوت البذور البرية.

وضمت المنطقة قطعانا من الوعل والغزلان والتي بقى منها القليل حسب شهود عيان يسكنون الوادي مع مواشيهم، يتضح أن الوادي والشراج والشعاب كانت مراعٍ خصبة في زمنٍ مضى، وكانت تستقطب مربّي الماشية، مع وجود ينابيع عذبة في طول الفج الذي أتاح استمرارية الاستيطان وتكاثر الماشية.

أما النقوشات والرسومات الصخرية فهناك أربعة مواقع قمنا بتوثيقها في «عكد» وربما يوجد مواقع أخرى تحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي عنها وتكرار الزيارات للمنطقة وهذه المواقع هي كالتالي:

Text.indd 65 07/07/2022 9:11 AM

الموقع الأول:

الوصف العام : صخرة على يمين الشارع عند بداية مدخل «عكد» ترتفع قرابة (1) متر واحد عن سطح الأرض يوجد عليها رسم صخري جميل جدا وبشكل متقن في وضع الشكل وقياساته وتعبيرات إيحائية في وضعه الهجومي، ويمثل حيوانا مفترسا أقرب ما يكون «للنمر» وذلك من خلال وجود المخالب والذّيل المعكوف والوضعية التي رسم بها وكأنه على وشك الانقضاض على فريسته.

القياسات بالتقريب للرسومات: يبلغ طول الرسم تقريبا 15 سم وعرضه ما بين 20 - 25 سم

تقنية الرسم: تم رسمه بطريقة النقر في الصخر وهي طريقة شائعة كثيرا في هذا النوع من الرسومات.

معلومات إضافية: هذا الرسم يوجد ما يشبه كما هو الحال في وادي السحتن وفي وادي بني خروص في محافظة جنوب الباطنة كذلك يوجد في «العامرات» العديد من هذه الرسومات المشابهة للرسم الذي في «عكد». وهناك بعض الآراء التي تعده حيوانا أسطوريا ولا نعلم مدى صحة هذا الاستنتاج وإلى ماذا اعتمد؟ والذي يظهر أن الفنان القديم رسم حيوانا رآه في البيئة المحلية المحيطة به، إن النمور كانت موجودة إلى فترة قريبة في شمال عُمان وإلى اليوم يوجد عدد من النمور العربية في محمية جبل سمحان بمحافظة ظفار.

الموقع الثاني:

الوصف العام : صخرة على يسار الشارع وعلى اليمين منها مزرعة قائمة منفردة وهي من بقايا النظام الزراعي في عكد، تقع الصخرة غرب المزرعة مباشرة على سفح الجبل ترتفع قرابة (1) متر واحد عن سطح الأرض يوجد عليها أكثر من (10) رسمات صخرية تتنوع بين الأشكال الآدميــة والحيوانيــة والأسلحــة المستخدمة في تلك الفترة (السيوف، والرماح، السهام)، من بينها رسومات لحيوانات مفترسة من خلال شكل الذيل المعكوف والمخالب ووضعية القوائم كذلك أشكال آدمية منفردة وهناك رسمات للفرسان فوق ظهور الخيل، ورسمات أشبه ما تكون للوعل، علماً أن الرسومات رسمت على وجهي الصخرة وشكلها شبه مكعب، والرسومات رسمت من الجهة الجنوبية والجهة الغربية من الصخرة.

القياسات بالتقريب للرسومات: أغلب الرسمات في هذا الموقع طولها ما بين (-10 15سم) والعرض لا يتجاوز (5 سم)

تقنية الرسم: رسمت بطريقة الحزّ والنقر، ورسومات تجمع بين الحزّ والنّقر معا.

معلومات إضافية: إن هذا النوع من الأشكال الآدمية والحيوانية و نوعية الأسلحة غالباً ما نجده متكررا في الكثير من المواقع في عُمان.

Text.indd 66 07/07/2022 9:11 AM

الموقع الثالث:

الوصف العام للصخرة: صخرة كبيرة الحجم تقع على جرف صخري أسفل أحد الأودية في الجهة الشمالية الشرقية من منطقة «عكد» يحتاج الوصول إليها مشيا على الأقدام لمسافة لا تقل عن 3 كم من آخر نقطة تصل إليها المركبات. ترتفع عن سطح الأرض مسافة لا تقل عن (2) مترين وتوجد الرسومات في الجهة الجنوبية منها وهي تقريبا (5) أشكال أدمية فقط ومن بينها شكل أدمي كبير الحجم يحمل سيفا في خصره.

القياسات بالتقريب للرسومات: مجمل الرسومات طولها ما بين (10 إلى 15سم) والعرض تقريبا (5 سم) أحدها يحمل سيفا في خصره وهو الأكبر بينها ويصل طوله إلى (20 سم) والعرض قد يزيد نوعا ما عن (5 سم)

تقنية الرسم: تم رسم الرسومات بطريقة الحز في الصخر..

معلومات إضافية: اتضح أن هذا النوع من الرسومات متكرر أيضا في الكثير من المواقع بسلطنة عُمان لكن كبر حجم أحد هذه الأشكال الآدمية قد يكون له تفسيرات أخرى مثل قوة الشخص وبنيته الجسمية الصحية وقدرته على المحاربة بالسيف وتمكنه من فنون القتال باختصار يمثل القوة والهيمنة.

الموقع الرابع:

الوصف العام للصخرة: صخرة كبيرة الحجم مكعبة الشكل تقع في نهاية منطقة «عكد» أرتفاعها تقريبا (2) مترين وعرضها ما بين (1-2) متر تقريبا رباعية الأوجه بها رسومات صخرية من جميع جهاتها وما يميز هذه الصخرة نقوش كتابية في الجهة الشمالية منها.

وصف الرسومات: تتنوع بين الأشكال الآدمية التي تحمل أسلحة (سيوف أو رماح) واشكالا حيوانية و رسما لطير أقرب ما يكون لطائر البوم وأشكالا هندسية ورموزا غير مفهومة كذلك.

وصف النقوش الكتابية: عبارة عن نقشين كتبا في نفس الفترة ينص النقش الأيسر على « كتب هذا الكتاب سعيد بن عمر بن عبدالله بيده سنة خمس ماية وسبع وأربعون من هجرة الرسول محمد» أي أنه يعود لعام 547 هـ ثم جاء ابن هذا الرجل الذي نص عليه النقش الأيسر وكتب في الجهة اليمنى من الصخرة « لا إله إلا الله كتبه محمد بن سعيد بن عمر « وكتب في الأسفل « وكتب عليه الرحمة» أي يقصد هنا والده الذي كتب النص الأول فقد كتب الأبن محمد النص الثاني بعد (23) سنة من وفاة والده.

نوع الخط: خط النسخ

عدد الأسطر: يتكون النقش الأيسر تقريبا من (7) اسطر، أما النقش الأيمن فهو يتكون من (4 أسطر تقريبا)

تقنية الرسومات الكتابة: تم رسم الرسومات بطريقة النقر في الصخر كما هو واضح وبعضها تجمع ما بين الحزّ والنّقر أما النقوش الكتابية فقد كتبت بطريقة الحز.

معلومات إضافية: تعود أهمية هذه الصخرة في جمعها بين الرسومات والنقوشات وكذلك قدم النصوص الكتابية المنقوشة عليها التي يعود أولها إلى عام 547 هـ والثاني إلى 570هـ.

Text.indd 67 07/07/2022 9:11 AM